

مقدمة

القضية الأساسية التي تشغلني في معظم ، إن لم يكن في كل ، ما أكتب على وجه التقريب هي قضية " العدل " الذي أعتبر توافره إعلانا بتحقيق إنسانية الإنسان ، وغيابه هو العكس من ذلك .

قل مثل هذا في التعليم ، وفي السياسة ، وفي الاقتصاد ، وفي الثقافة ، وفي كل مجال من مجالات الحياة الإنسانية .

وليس غريبا أن تجد المدار كله في أول كتاب في التاريخ التربوي والفكر السياسي يرسم مدينة فاضلة ، ألا وهو جمهورية أفلاطون ، إنما يقوم من أوله إلى آخره حول هذه القضية : كيف يمكن تحقيق العدل في المجتمع ؟ وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن العدل هو حلم الإنسان منذ آلاف السنين ، إلى أن تقوم الساعة .

ومن هنا كان تركيزي كثيرا على الوجه الآخر ، ألا وهو الظلم ، والقهر ، والاستبداد ، والتفاوت الاجتماعي ، والاستغلال ، إلى غير هذا وذاك من مفردات ، تتعدد وتتوسع ، لكنها جميعا تشير إلى أمر واحد هو افتقاد العدل . وقراءة عناوين مجموعة الدراسات التي يضمها الكتاب الحالي يشير إلى أن كثيرا منها يدور حول هذه القضية .

لكن ، لماذا اختيار هذا العنوان " عسكرة التعليم " ؟ وهل يعنى هذا أن " العسكرة " هي المرادف للقهر والاستبداد ؟

الحق أن ما نؤكدده هو أن العسكرة كمنهج حياة لها مجالها وظروفها التي تجعل منها منهجا عظيما ، لكن أن يسرى هذا المنهج في مجال الحياة العامة ، فهذا من شأنه أن يفتح الباب لظهور ظواهر قهر واستبداد .

ولو وضعنا أمامنا قائمة بالتجارب التاريخية ، في كل العصور ، وفي كل المجتمعات لعمود سادها طغيان واستبداد ، فسوف نجد أن كثيرا من سمات "

العسكرة " قد تبنت بوضوح ، ربما فى سلبياتها ، لا فى إيجابياتها ، لأننا لا نستطيع أن ننكر أبدا إيجابيات لهذا النهج أبرزها سرعة الإنجاز ، والحسم ، وسيادة النظام ، والحرص على امتلاك القوة ، والتخطيط الجيد ، والتحسب للمستقبل ، والقدرة على المباغته والمفاجأة ٠٠٠ إلى غير هذا وذلك من سمات وخصائص هى فى حد ذاتها رائعة ، لكن الطغاة والمستغلين لديهم من المهارات التى تمكنهم من أن تتحول " النار " التى من شأنها أن تتضج وتثير ، كى تحرق وتكمر. الغير ٠٠٠ أن تتحول الطاقة النووية من الأغراض السلمية إلى أن تكون طاقة نسف وإبادة .

والدراسة الأولى عن (العدل التربوى فى التعليم المصرى) كانت محاضرة أعدتها استجابة لدعوة من الجمعية المصرية التاريخية ، فى العام ٢٠٠٤ على وجه التقريب .

أما الدراسة الثانية (العطاء المصرى ٠٠ عربيا) ، فقد أعدت كمحاضرة ألقيت فى دار الوثائق القومية ، دار الكتب أيضا عام ٢٠٠٤ تقريبا .
والدراسة الثالثة عن (نشأة التعليم العربى الحديث) أعدت بناء على طلب من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ٢٠٠٣ ، ضمن مجموعة دراسات تؤرخ للوطن العربى فى العصر الحديث .

والدراسة الرابعة (عسكرة التعليم وبناء الإنسان قهرا) فقد أعدت عام ٢٠٠٦ ضمن ندوة عن (محمد على) بالمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة .
أما الدراسة الخامسة (عن العدل التربوى فى تعليم المرأة منذ ١٩٥٢) فقد أعدت فى العام ٢٠٠٦ بناء على طلب المجلس القومى للمرأة ، ضمن مجموعة دراسات تخص تطور أحوال المرأة منذ نصف قرن .

وأعدت الدراسة السادسة (التعليم فى ثورة يوليو ١٩٥٢) لدار الوثائق القومية ضمن احتفالها بمرور خمسن عاما على الثورة عام ٢٠٠٢

أما الدراسة السابعة والأخيرة (دور التعليم فى التطور الحضارى العربى) ، فأعدت كمحاضرة ألقىت فى مكتبة الأسد بدمشق ، ضمن فعاليات معرض الكتاب الدولى عام ٢٠٠٤ ، على وجه التقريب أيضا ، حيث لم تسعفى الذاكرة بالتحديد الدقيق ، بناء على دعوة كريمة من الأخ العزيز الدكتور وزير الثقافة السورى محمود السيد .

ولا يسعنى فى النهاية إلا أن أكرر اعتذارى الذى لا بد من تسجيله ، لما يترتب على تجميع مجموعة دراسات أعدت لجهات عدة ، فى مناسبات مختلفة فى كتاب واحد ، خاصة أن هذه الدراسات كلها تقع فى قلب التاريخ للتعليم فى مصر بصفة خاصة ، والتعليم العربى بصفة عامة ، فى العصر الحديث .

وفقنا الله إلى أن تكون أعمالنا ، لبنات متواضعة فى صرح المعرفة التربوية ، التى تعزز من مكانة الإنسان على أرض هذا الوطن الغالى ، وهذه الأمة التى نطمح بأن تتغير أحوالها حتى تكون مستحقة بالفعل أن تكون خير أمة أخرجت للناس ، لأنها فى وقتنا الراهن ليست كذلك !

مصر الجديدة فى ٢٠٠٧/٧/٨